بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

مع نهاياتِ العامِ ٢٠١٧م، وبروزِ العامِ ٢٠١٨م تَنَفَّسَ العالَمُ الصَّعداءَ باندحارِ دولةِ داعشِ الإرهابيةِ، وتراجُعِ حملاتِ العنفِ، والتَّصعيدِ في الشَّامِ، إذا بالعالَمِ يدخلُ في متاهاتٍ جديدةٍ من العنفِ، والتَّصعيدِ في الأرضِ المُحتلَّةِ: فلسطينَ، كرَدِّ فعلٍ طبيعيٍّ لقرارِ الرئيسِ الأمريكيِّ (دونالد ترامب) حَولَ القُدسِ الشَّريفِ، ونَقلِ السَّفارَةِ الأمريكيةِ إليها.
لم تَكُن القُدسُ في حاجةٍ إلى وعدِ (بلفُور) جديد يُخَطرفُ به حتَّى تستيقظَ الأُمَّةُ العربيُة من سُباتِهَا، ولم تَكُن في حاجةٍ إلى ترديدِ مقولةِ «عطاءُ من لا يَملِكُ لِمَن لا يَستَحِقُ» حتَّى تَنتَبِهَ الأُمَّةُ، فالقُدسُ في حقيقةِ الأمرِ لَم تَغِب عن مُخيَّلةِ الشُّعوبِ العربيَّةِ، ولن تزالَ كُلُّ نفسٍ تَهفُو إلى الحَجِّ إليها قُدسًا شريفًا، وقِبلَةً مقصودةً، بل تكادُ صورةُ القُدسِ تكونُ محفورةً في ذاكرتِنَا جِيلًا بَعدَ جِيلٍ حتَّى الأطفال منَّا، بل ومطبوعةً في أعينِهم؛ إذ يستطيعُ أيُّ طفلٍ أن يَرسُمَهَا من ذاكرتِه فقط، وأن يُحَدِّثَ عنها ما يشاءُ.
كُلُّ هذا على مستوى الأُمَّةِ العربيَّةِ وشعوبِها، إلا أنَّ البَونَ يتَّسِعُ إذا ما بَحَثنَا عن قُدسِنَا الشّريفِ بين النُّخَبِ السِّياسيَّةِ؛ نتيجةً للضَّعفِ والانقسامِ الَّذِي ضَرَبَ الجَسدَ الرَّسميَّ العربيَّ والإسلاميَّ، هل هناك من مُضاهاةٍ بينَ القُدسِ في الضَّميرِ الشَّعبيِّ العربيِّ والإسلاميِّ، والقُدس في الواقعِ السِّياسيِّ العربيِّ؟!
نُحنُ هنا وبدعوةٍ من الأَزهَرِ الشَّريفِ، ومِن خلالِ هذه الورقةِ نحاولُ أن نُجِيبَ على الأسئلةِ أعلاهُ، وأَسئلةٍ كثيرةٍ غيرِهَا.
الأَزهَرُ والقُدسُ الشَّرِيفُ..
وَصَفَهُ كثيرونَ بأنَّه: «قلعةُ الإسلامِ»، ويعتبرُهُ آخرونَ: «منارةَ الإسلامِ» في مصرَ؛ فهو أقدَمُ مؤسَّسةٍ إسلاميَّةٍ في مصرَ والعالَمِ، بل وأهمّها نَظرًا للدَّورِ الكبيرِ الَّذِي قَامَ به الأَزهَرُ الشَّرِيفُ مُنذُ تاريخِ تأسِيسِهِ قَبلَ أكثرَ مِن ١٠٠٠ عام في نشرِ تعاليمِ الإسلامِ الوُسطِيّة في العالَمِ.
مَرَّ الأَزهَرُ الشَّرِيفُ بالعديدِ من الأزماتِ في مختَلَفِ العُصورِ، ولَعِبَ دَورًا كَبيرًا في الحركةِ الوطنيَّةِ المصريَّةِ خُصُوصًا، والعربيَّةِ على وَجهِ العُمُومِ

من خلالِ الرَّسائلِ الَّتِي يَبُثُّهَا في الشُّعوبِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ لمقاومةِ المُستَعمِرِ...هذا بالإضافةِ إلى دَورِهِ في نشرِ صحيحِ الدِّينِ الإسلاميِّ الوسطِيِّ المعتدلِ حَولَ العَالَمِ.
ظَلَّت القُدسُ والقضيَّةُ الفلسطينيَّةُ حاضرتينِ في فعالياتِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ مُنذُ العامِ ١٩٤٨م، وحتَّى إعلانِ الرَّئيسِ الأمريكيِّ (دونالد ترامب) قَبلَ أيَّامٍ قلائلَ، حيثُ أعلنَ فضيلةُ الشَّيخِ الدُّكتورِ/ أحمد الطَّيِّب - شيخِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ رَفضَهَ طَلَبًا رَسمِيًا من نائبِ الرَّئيسِ الأميركيِّ (مايك بينس)، للقائِهِ في ديسمبرِ الماضي.
وَكَانَت السِّفَارةُ الأميركيةُ بالقاهرةِ قَد تَقَدَّمَت بطلبٍ رسميٍّ، لترتيبِ لقاءٍ لنائبِ الرِّئيسِ الأميركيِّ معَ شيخِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ، خلالَ زيارةِ نائبِ الرَّئيسِ الأميركيِّ، حيثُ دَعا فضيلَتُهُ بأن تكونَ خُطبةُ الجُمعةِ في الجامعِ الأَزهَرِ عنِ القُدسِ الشَّرِيفِ وهُويَّتِهِ العربيَّةِ، مُناشدًا القادةَ العربَ بـالوقوفِ صَفًّا واحدًا ضِدَّ كُلِّ الدَّعواتِ والمحاولاتِ الَّتِي من شأنِها تغييرِ هُويةِ القُدسِ العربيَّةِ، أو سَلبِ حَقٍّ أصيلٍ من حقوقِ العربِ، كما دعا إلى عَقدِ مؤتمرٍ عالميٍّ حولَ القُدسِ، في يناير (هذا المؤتمر) مُحِذِّرًا من تداعياتٍ خطيرةٍ لأيِّ مَسَاسَ بهُويةِ المدينةِ المُقدَّسَةِ.
وهذا الموقفُ الصّلبُ لا يَصدُرُ إلا عن مؤسَّسةٍ رَائِدَةٍ وقيادةٍ شجاعةٍ ظَلَّت تُشَكِّلُ خَطَّ الدِّفاعِ الأَوَّلِ عن الإسلامِ، كما ظَلَّ الأَزهَرُ الشَّرِيفُ يُشَكِّلُ حَلَقَةَ الوَصلِ المَتِينةِ بينَ الإسلامِ والدِّياناتِ الأخرى في سُمُوٍ واعتدالٍ، حيثُ ظَلَّت خطوطُ الاتِّصالِ مفتوحةً مع المؤسساتِ الدينيَّةِ في تعاونٍ وتَفَاكُرٍ مُستَمِرٍّ حولَ تعايشِ الأديانِ من أجلِ عالَمٍ متعايشٍ دينيًّا وثقافيًّا.
الحِراكُ السِّياسيُّ العربيُّ تجاهَ القُدسِ:
لم يفلح الواقعُ العربيُّ الرَّسميُّ في التَّأثيرِ على سياساتِ إسرائيلَ تجاهَ القُدسِ والأقصى مُنذُ عام ١٩٦٧م، وحتَّى اليوم برغمِ الاعترافِ بالجهودِ الدُّبلوماسيةِ العربيةِ، والَّتِي تُوِّجَت بمعاهدةِ السَّلامِ العربيةِ بقمةِ بيروت ٢٠٠٢م، والَّتي قضت بالأرضِ مقابل السَّلامِ، ولم ترد إسرائيلُ عليها حتَّى الآن... فهو - أي: التَّحرُّك السِّياسي العربيّ، ودولةُ فلسطين جزءٌ منه - يعترفُ بدولةِ إسرائيلَ من جهةٍ، ولا يؤمنُ بالحربِ معها، بل أسقطَ خيارَ الحربِ كخيارٍ إستراتيجي، وعمدَ إلى سياسةِ التَّهدئةِ والتعايشِ السِّلميِّ، بل والدعوةُ إلى التعاملِ مع إسرائيلَ على أنَّها واقعٌ حقيقيٌّ يلامسُ الواقعَ

العربيَّ، والذي هو في حقيقةِ الأمرِ واقعًا مضطربًا وغيرَ واضحٍ في كثير من الأحيانِ.
تُرمُومِتر التفاعلِ مع القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ ظَلَّ في حالةِ تأرجحٍ تاريخيَّةٍ نزولًا وهبوطًا متناسبةً مع تقلباتِ الصَّراعِ الإسرائيليِّ الفلسطينيِّ، وعن كيفيةِ التَّعاطِي الإسرائيليِّ مع ثوراتِ المقاومةِ الفلسطينيةِ المتجددةِ مع أنهارٍ من الدَّمِ تقابلُها عشراتُ الإداناتِ والشُّجوبِ من النُّخَبِ العربيةِ، ومئاتُ القصائدِ الباكيةِ من المثقفينَ، وثورةٌ من الغضبِ الشَّعبيِّ العربيِّ، والحنقُ على إسرائيلَ والحكَّام العربِ على حدٍ سواءٍ. إذ لم يزل التَّفاعُلُ العربيُّ الرسميُّ دُونَ المطلوبِ، حيثُ ظَلَّ فاترًا إلا من بعضِ الأصواتِ القويَّةِ هُنا وهُناك، و قد لا نجدُ لذلك تفسيرًا منطقيًّا، فما تَفعَلُه إسرائيلُ في أرضِ فلسطينَ، وما تمارِسُهُ تجاهَ القُدسِ من استباحةٍ واستغلالٍ كفيلٌ بأن يُحطِّمَ قيودَ الوَهمِ الَّتي ظَلَّت تُكَبِّلُ العقلَ العربيَّ، حيثُ يَسجُنُ نفسَهُ في التَّفوقِ العسكريِّ الإسرائيليِّ، وأوهامِ الحلولِ السِّلميَّةِ ناسيًا أنَّ هناك العشراتِ من الطُّرقِ والأساليبِ الَّتِي يُمكنُ أن يجابِهَ بِهَا الوجودَ الإسرائيليَّ المفروضَ في القُدسِ وفلسطينَ.
كُلُّ ما ذُكِرَ كانَ دافعًا وحافِزًا للولاياتِ المتحدةِ (الحليفِ الاستراتيجيِّ لإسرائيلَ)، ممثَّلَة في رئيسِهَا (دونالد ترامب) لتقفِزَ بإسرائيلَ من مرحلةِ التَّهويدِ الممرحلِ المتأنِي إلى تهويدٍ كاملٍ، واعتبارِ مدينةِ القُدسِ عاصمةً لإسرائيلَ بقرارٍ مستفزٍ غيرِ مأمونِ العواقبِ.
هذا القرارُ (الوعد) كانَ أحدَ مُخرجاتِ الحملةِ الانتخابيةِ للمرشحِ الرئاسيِّ الجمهوريِّ (ترامب)، الَّذي فَشَلَ في الإيفاءِ بأغلبِ وعودِه إلا هذا الوَعد المَشئُوم. هذا الوعدُ كان عبَارةً عن بالونِ اختبارٍ أطلقَهُ (ترامب) فَوقَ سماءِ العربِ؛ ليرى نتائجَ هذا الاختبارِ، ولقد جاء الاختبارُ مُبَشِّرًا له حيثُ قابلَهُ سُبَاتٌ عربيٌّ مُخَيِّبٌ للآمالِ في بدايةِ الأمرِ إلا قليلٌ من التَّنديداتِ هنا وهناك، بل حتَّى لآمالِ (ترامب) نفسه -وهو الَّذي توقعَ مقاومةً معقولةً تتضخمُ معها غطرستُهُ- وَتُهدِيهِ حالةً من الزَّهوِ والإحساسِ بالانتصارِ ليُهرَعَ إلى صفحتِهِ في تطبيقِ (تُويتر) الشَّهيرِ؛ ليكتبَ تغريدةً هستيريةً فرحًا بانتصارِهِ على العربِ لكن حتَّى هذا لم يَحدُث.
إعلانُ القُدسِ عاصمةً لإسرائيلَ أثارَ حالةً من الصَّدمةِ والاستغرابِ لدى العالَمِ الحُرِّ، لكن وللأسفِ لم يكن العالَمُ العربيُّ -حتَّى الآن- قَدرَ التَّحدِّي،

حيثُ جاءت الإداناتُ والاعتراضاتُ من دولٍ كألمانيا وفرنسا وروسيا وغيرها مع إداناتٍ خجولةٍ من العالَمِ العربيِّ، والذي أخذتهُ الغيرةُ من هذا العالَمِ الحُرِّ، فهرعت الحكوماتُ العربيةُ إلى المنصَّاتِ الإعلاميةِ شَجبًا وإدَانَةً.

البُعدُ الإسلاميُّ للقُدسِ العربيةِ حَرَّكَ فواعلَ آخرينَ على المحيطِ الإقليميِّ مثلَ بعضِ الدُّولِ الإسلاميةِ الناشطةِ؛ لتُظهِرَ القيمةَ الإسلاميةَ للقُدسِ خَاصَّةً بعدَ المناداةِ بأنْ حيَّ على القُدسِ؛ لتتسعَ دائرةُ الرَّفضِ، ويتمَلمَلَ الماردُ الإسلاميُّ في حينِ لم تُحَرِّك الجامعةُ العربيةُ ساكنًا، وكان الأجدرُ بها المناداةَ بمؤتمرٍ عالميٍّ لنُصرَةِ القُدسِ، لكنَّهَا حتَّى الآن فَشَلَت حتَّى في الدَّعوةِ إلى قمةٍ طارئةٍ.

المجتمعُ الدَّوليُّ مع مجلسِ الأمنِ تحرَّكُوا إيجابيًّا بتصويتِ ١٢٦ دولةٍ من دولِ العالَمِ ضِدَّ هذا القرارِ شكَّلت إسنادًا حقيقيًّا مدعومًا بهذا الكَمِّ من الدُّولِ الرَّافضةِ لهذا القرارِ، وفيها دولٌ حليفةٌ للولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ؛ ليظهرَ لنا أن حِقبةً جديدةً بدأت تلوحُ في الأُفقِ تجاهَ الصَّلفِ الإمبرياليِّ المُتَغَطرِسِ، وأنَّ هناك دولًا مازالَ لديها القدرَةُ على قولِ (لا) في وجهِ قُوى الطَّغيانِ، وأنَّ الضَّميرَ العالميَّ لا زالَ بخيرٍ.

هذا الموقفُ الكبيرُ سيشكلُ أرضيَّةً صُلبةً وراسخةً لتحركٍ عربيٍّ حقيقيٍّ، إضافةً إلى قضايا أخرى كثيرةٍ كلّها تُشَكِّلُ استفزازًا وتهديدًا للبقاءِ العربيِّ، فهذه أعظمُ فرصةٍ تأتي كحافزٍ للقياداتِ السِّياسيةِ العربيَّةِ لليقظةِ والانتباهِ، وقد التقطت مصرُ العُروبة قُفَّازَ المُبادَرَةِ عَبرَ الأزهَرِ الشَّريفِ بالدَّعوةِ لهذا المؤتمرِ، وهي دعوةٌ كريمةٌ، والاستجابةُ إليها واجبةٌ، كيف لا؟ والدَّاعِي هو الأَزهَرُ الشَّريفُ، وموضوعُ المؤتمرِ القُدسُ وما أدراك ما القُدسُ!.

هل نستطيعُ أن نُغَيِّرَ التَّاريخَ؟

في ضَوءِ التَّجرُبَةِ التَّاريخيَّةِ لما يقاربُ نصفَ قرنٍ، ثبت أنَّه لا يُمكِنُ التعويلُ الجادُّ عَلَى دَورٍ سياسيٍّ عربيٍّ أو إسلاميٍّ بارزٍ ومؤثِّرٍ تجَاهَ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ برمتِهَا، أو تجَاهَ القُدسِ رمز الكرامةِ العربيَّةِ الإسلاميَّةِ.

نعم.. هناك أدوارٌ قامت بها مؤسساتٌ وحكوماتٌ عربيَّةٌ لكنها لم تكن بالحجمِ المطلوبِ، وثبتَ أنَّه لم يكن للقُدسِ والأقصى غيرُ أهلِهَا، وتحديدًا أهلها الَّذِين يعيشونَ تَحتَ نيرِ المُحتَلِّ، هؤلاءِ في حالةِ دفاعٍ دائمٍ عن النَّفسِ، والأرضِ، والعِرضِ، ولقمةِ العيشِ، وحتَّى حريةِ الحركةِ، وتشاركُهم الشُّعوبُ العربيَّةُ

لا النُّخَبُ بألمٍ وحزنٍ ودموعٍ ثخينةٍ، ورغبةٍ صادقةٍ في الزَّودِ عن حِياضِ القُدسِ الشَّريفِ إلا أنَّ أغلالًا تكبلُّهم، وتحولُ بينهم وبين مُبتغاهم السَّاميِّ، وما هذه الأغلالُ إلا الفتورُ الرَّسميّ وسطَ النُّخبِّ العربيةِ، واللامبالاة والتَّمَادِي الإسرائيليِّ في اغتصابِ الحقِّ الفلسطينيِّ، لكن نَحمَدُ اللَّهَ أنَّ هناك يقظةً، وها نحنُ بصددِها، ونرجو أن يُسهِمَ هذا المؤتمرُ في رفعِ حالةِ الوَعي، والالتفافِ حولَ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، وكافةِ القضايا العربيَّةِ والإسلاميَّةِ.

حساباتُ القُوَّةِ والضَّعفِ، والتَّفوقِ والدَّعمِ هي المقاييسُ الَّتي تنظرُ بها الحكوماتُ العربيَّةُ، ومؤسساتُها، وبعضُ عامتِها، ومثقفوها، والمخذلون للصِّراعِ العربيِّ الإسرائيليِّ بتصويرِ إسرائيلَ عدُوًّا لا يُهزَمُ أبدًا.

وفي حقيقةِ الأمرِ إنَّ إسرائيلَ دولةٌ ذكيَّةٌ، استغلت هذه النَّظرةَ العربيَّةَ إليها؛ لتزدادَ غطرسةً مَعَ اطمئنانٍ تامٍّ من أيِّ إزعاجٍ عربيٍّ، ونرجو أن تُكَذِّبَ الحكوماتُ هذا الإحساسَ في المستقبلِ القريبِ من خلالِ التَّبَنِّي التَّامِّ للقضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، وجعلِهَا قضيَّةً ذاتيَّةً لكُلِّ عربيٍّ ومُسلِمٍ، حكومات وشعوب.

إسرائيلُ على النَّقيضِ، ظَلَّت تستغلُّ كافَّةَ المنابرِ الدَّوليَّةِ ومؤسساتِها؛ لإظهارِهَا بدَورِ الضَّحيَّةِ وَسطَ محيطٍ عربيٍّ إرهابيٍّ متربِّصٍ دمويٍّ ذي تفكيرٍ رجعيٍّ حَسبَ تصويرِهَا، وللأسفِ انساقَ البعضُ خلفَ هذه الفِريَةِ، وأصبحَ ينافحُ ويدافعُ عن إسرائيلَ بدعاوى الجوارِ الآمنِ، ومحاربةِ الإرهابِ، متناسيًا الإرهابَ الإسرائيليَّ، وأنهارَ الدَّمِ الفلسطينيِّ الزكيِّ الَّتِي لم ولن تجفَّ حتَّى تتحررَ القُدسُ، أو يهلكَ دونَها آخر..تمنيتُ أن أقولَ: آخر مُسلِم أو آخر عربيّ، لكن للأسفِ سأقولُ حتَّى آخر فلسطينيّ، فهم المُكتَوُونَ بجمرِ القضيَّةِ الفلسطينيِّة حتَّى إشعارٍ آخرَ.

الدَّورُ السِّياسيُّ المنشودُ لاستعادةِ الوعيِّ العربيِّ تجَاهَ القُدسِ:

على مَدَى عُقُودٍ من الزَّمَانِ ظَلَّ الدَّورُ السِّياسيُّ العربيُّ مُنحسِرًا عن بلوغِ أحلامِ الأُمَّةِ العربيَّةِ في تحريرِ بيتِ المَقدِسِ مِن مُدنِّسِيه، وهي أحلامٌ مشروعةٌ يدعَمُهَا بُعدٌ دينيٌّ مُحَفِّزٌ، ونصوصٌ قرآنيَّةٌ وأحاديثُ شريفةٌ تُؤَطِّرُ لهذا الحُلمِ العربيِّ بتنبُّؤاتٍ وأخبارٍ تُحَقِّقُ شِطرَهَا، ويبقَى الشِّطرُ الآخرُ.

اختبرَ التَّاريخُ الوعيَّ العربيَّ تجاهَ قضيتِهِ الأصيلةِ والمتجددةِ من عصرٍ إلى آخرَ رغمَ الدروسِ التَّاريخيَّةِ مُنذُ عهدِ أميرِ المؤمنينَ عمرِ بنِ الخطابِ إلى عهدِ صلاحِ الدِّين الأيوبي، وحتَّى حربِ ١٩٧٣م، كُلُّ هذه الدُّروسِ أسهمت

في تَنبِيهِ الوجدانِ العربيِّ المسلمِ بعدمِ استحالةِ تحريرِ القُدسِ، وإمكانيةِ دَحرِ اليهودِ في أيِّ زمانٍ، إلا أنَّ هذه الدُّروسَ أصبحت تُثَارُ كحكاياتٍ وبطولاتٍ للأُنسِ والتَّرفيهِ والتَّسامر بين الأجيالِ، ولم تُفلِح في تغذيةِ وَعيٍّ عربيٍّ راشدٍ يتحلَّى بالرَّغبةِ في الخلاصِ من البُعبعِ الصهيونيِّ المتربصِ، والَّذي لم تَنتَهِ أحلامُه بأرضِ فلسطينَ، وإنَّما تمتدُّ أطماعُه الشَّرهةُ إلى ما بعد ذلك (من الفراتِ إلى النِّيلِ).

تأثيرُ البُعدِ السِّياسيِّ للقضيَّةِ الفلسطينيَّةِ على الوَعي العَربيِّ:

لا يجبُ التَّركيزُ فقط على البُعد الرُّوحِي للقُدسِ، فهذا البُعد تشتركُ فيه كافَّةُ الأديانِ السَّماوية، فالقُدسُ لها رمزيتُها الدِّينيَّةُ لليهود والنَّصارى كما للمُسلِمين، رغمَ أهميَّة البُعدِ الدِّينيِّ الرُّوحيِّ يجبُ التركيزُ على أبعادٍ أخرى؛ كالبُعد الثَّقافي، والبُّعد التَّاريخيّ، وحقِّ الأرض، وتأكيدِ حتميَّة أن تكونَ القُدسُ عاصمةً للفلسطينيين، ودُون أيِّ تدخلات أجنبيَّةٍ، أو تهديدٍ بنزعها وتهويدِها، وهذا أمرٌ لا يَتَأَتَّى بالأُمنيات، وإنَّما يتطلبُ عملًا جادًّا ومتصلًا، إذًا يمكنُ للجانبِ السِّياسي أن يلعبَ دَورًا من خلالِ شِقيهِ الدُّبلوماسيِّ والعسكريِّ، ومن خلالِ مُنظَّماتِ المجتمعِ المدنيِّ، والأحزاب السِّياسية، والعلاقات الخارجية، والتَّعاون الدَّوليِّ وغيرِها دَورًا بارزًا في رفعِ الوَعي بالقضيَّة العربيَّةِ.

الدَّورُ الدُّبلوماسيُّ:

لا بُدَّ من نشَاطٍ دبلوماسيٍّ ضخمٍ ومتناسقٍ يعملُ على تسويقِ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ وأبعادِها الإنسانيَّةِ لخلقِ رأيٍ عامٍ عالميٍّ رسميٍّ متضامِنًا مع القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، وأحقيَّةِ فلسطينَ وشعبِها في أرضِهم، وحقِّهم في القُدسِ كعاصمةٍ تاريخيّةٍ، والعملُ على تحييدِ أكبرِ قَدرٍ من شعوبِ العالَمِ خاصَّةً في تلك الدُّولِ المُنحَازَةِ لجانبِ إسرائيلَ، هذا العملُ لا بُدَّ له من تنسيقٍ وتخطيطٍ مُسبَقٍ على مراحلَ، ويجبُ أن تتكفلَ الحكوماتُ بتمويلِ مثلِ هذه الأنشطةِ على أن تتولَّى البعثاتُ الدُّبوماسيةُ دَورَ التنفيذِ بوَعيٍ ودرايةٍ مع وضعِ أهدافٍ مرحليَّةٍ واضحةٍ.

دَورُ مُنظَّماتِ المجتمعِ المدنيِّ:

ظلَّت منظَّماتُ المجتمعِ المدنيِّ تلعبُ أدوارًا مقدَّرَةً في التَّوعيةِ بالقضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، سواءٌ كانت منظَّماتٍ محليةً أو إقليميةً أو دوليَّةً، فكثيرٌ من المنظَّماتِ كان لها دَورٌ حقيقيٌّ في تسليطِ الضَّوء على الجرائمِ والمجازرِ

والانتهاكاتِ الممنهجةِ والمقصودةِ الَّتي ظلَّ الكيانُ الإسرائيليُّ يرتكبُها في حقِّ الشَّعبِ الفلسطينيِّ الأعزلِ، وقامت هذه المُنظَّماتُ- مثل: منظَّمة حقوقِ الإنسانِ، والهلالِ الأحمر، وأطباءَ بلا حدود، وغيرها من المنظَّمات الناشطةِ في الحقلِ الإنساني- بإعدادِ تقاريرَ مشفوعةٍ بالأدلةِ الماديةِ الكافيةِ لتجريمِ الكيانِ الصُّهيونيِّ، إلا أنَّ هناك حلقةً مفقودةً تمثَّلَت في عدمِ وجودِ تمثيلٍ إسلاميٍّ عربيٍّ فاعلٍ في المنظَّماتِ الدَّوليَّةِ، حتَّى يتسنَّى له تقويةَ هذه الحججِ من خلالِ تبنِّيهَا وعرضِها بقوَّةٍ أمامَ جمعياتِ الأممِ المتحدةِ ومؤسَّساتِها، واجتماعاتِ مجلسِ الأمنِ، وكافَّةِ المحافلِ الدَّوليَّةِ الكُبرى؛ لاستصدارِ قراراتِ أُمَميَّة ضِدَّ إسرائيلَ، بل بالعكس نجدُ أنَّ القُوى الدَّوليةَ الدَّاعمةَ لإسرائيلَ (أمريكا مثلًا) تستميتُ في الدِّفاع عن إسرائيلَ مستخدمةً في ذلك كافَّةَ الأساليبِ والطُّرقِ بما فيها استخدامُ حقِّ الفيتو لإجهاضِ مشروعِ أيِّ قرارٍ ضِدَّ إسرائيلَ، لذا يجبُ أن تلعبَ المنظَّماتُ والجمعياتُ والنقاباتُ والجالياتُ العربيةُ - سواءٌ في داخلِ محيط العالَمِ العربيِّ، أو في شتَّى بِقاعِ العالَمِ- دَورًا مُقدَّرًا بالتَّعريفِ بالقضيَّة الفلسطينيَّة وسطَ شُعُوبِ العالَمِ، وتكوينِ جماعاتٍ صديقةٍ وداعمةٍ للقضيَّة الفلسطينيَّة، وفضحِ فظائعِ الاحتلالِ الصُّهيونيِّ من خلالِ المعارضِ والعروضِ التَّقديمية والنَّدوات وحلقاتِ النَّقاش في المراكز التعليميَّة والجامعات والأندية، على أن يكونَ هذا الأمرُ بتنسيقٍ وتكاملٍ في آنٍ واحدٍ.

الأحزابُ السِّياسيَّةُ:

تعتبرُ الأحزابُ السِّياسيةُ وَاحِدَةً من مؤسَّساتِ التَّوعيّةِ والتَّنشئَةِ السِّياسيةِ في العالَمِ، ومن خلالِها يمكنُ للأعضاء أو النَّاخبون من تَبَنِّي رُؤًى داعمةً للقضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، وهذا أيضا يجبُ أن يتمَّ من خلالِ الأحزابِ السِّياسيةِ في العالمينَ العربيِّ والإسلاميِّ، ومن خلالِ أعضاءِ الأحزابِ الغربيةِ الكبرى من العربِ والمسلمين، والَّذين أصبحوا يُشكِّلون جماعاتٍ كبيرةً في أمريكا وأوروبا وإستراليا، خاصَّةً مَن نالوا جنسياتِ هذه الدُّول، وأصبحَ لهم تأثيرٌ واضحٌ في سياساتِ هذه الدُّول فيجبُ استغلالُ هذا التأثيرِ، وتوجيهِه لرفعِ الوعي بالقضيَّةِ الفلسطينيَّةِ بين جماهيرِ هذه الأحزابِ تأييدًا أو تحييدًا.

التَّعَاونُ الدَّولِيُّ والإقليميُّ:

إنَّ التَّعاونَ الإقليميَّ والدَّوليَّ يحتلانِ أهميَّةً كُبرى في مُحارَبَةِ التَّعدِّي على حقوقِ الآخرين دُولًا وأفرادًا، إلا أنَّ التَّركيزَ والاعتمادَ على الإرادةِ العربيَّةِ يَبقَى الطَّريقةَ الأنجعَ في هذا الخُصوصِ.
ولن يتحقَّقَ النَّجاحُ في هذا الاتِّجاه رَغم الحصولِ على الدَّعم الدَّوليِّ والإقليميِّ خارجَ الخارطةِ العربيَّةِ، إلا بالاعتماد على إستراتيجية وسياسةٍ متكاملةٍ وفعَّالة تُشركُ وتجمعُ العربَ في تصوَّرِ مصيرِهم، وتطويرِ وتحسينِ أوضاعهم السِّياسيةِ والعسكريَّةِ والاقتصاديةِ، وكيفيةِ تعاطِيهم مع اختلافاتِهم ومشاكلِهم بمنأًى عن أيِّ تدخُلاتٍ خارجيةٍ مع إيلاءِ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ مساحةً أكبرَ.
الدَّورُ العسكريُّ:
على الرَّغمِ من أنَّ الورقةَ تتحدَّثُ عن رفعِ الوَعيّ تجاهَ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، واستهدافِ القُدسِ الشَّريفِ إلا أنَّ ذلك لا يمنعُ أن نتناولَ الجانبَ العسكريَّ قليلا، وإظهارُ القوَّةِ ضرورةٌ من ضروراتِ السِّيادَةِ وحفظِ الأمنِ القوميِّ لأيِّ أُمَّةٍ في ظِلِّ تنافسٍ دوليٍّ على امتلاكِ أسبابِ القوَّةِ والسَّيطرةِ والتَّفوقِ.
من هذا المنطلقِ فلا بُدَّ من حلفٍ عربيٍّ إسلاميٍّ عسكريٍّ حقيقيٍّ حتَّى يحدُثَ التَّوازنُ المطلوبُ ولو جُزئيا، لا سِيَّمَا وأنَّ إسرائيلَ ظَلَّت دومًا تلجأُ إلى هذا الخيارِ (الخيار العسكري) في تعاطيها مع الفلسطينيينَ من خلالِ استخدامِ آلتها العسكريَّةِ في ضربِ الشَّعبِ الفلسطينيِّ الأعزلِ.
تغذيةُ الوَعيّ السِّياسيِّ العربيِّ:
بذورُ أيِّ مشكلةٍ في العالَمِ العربيِّ تكمنُ في انخفاضِ منسوبِ الوعي، والحلُّ باختصارٍ هو رفعُ منسوبِ الوعي إلى الدَّرجة الَّتِي تُمَكِّنُ المجتمعَ العربيِّ من الوقوفِ على قدميه ثانيةً، والقيامِ بمسئوليته في إدارتِها، والمشاركةِ الفاعلةِ على المستويين؛ الإقليميِّ والدَّوليِّ.
المشكلةُ معروفةٌ، والحلُّ معروفٌ، إلا أنَّ التنفيذَ على الأرضِ هو الصَّعبُ، فالإنسانُ العربيُّ يتعرَّضُ إلى حالةٍ من التَّجهيلِ المباشرِ والمتعمَّدِ أحيانًا وغيرِ المباشرِ، سواءٌ من قِبَل الأنظمة والمؤسَّسات والأجهزة والنِّظام التَّعليميِّ غيرِ المواكبِ لاحتياجات النَّشء وتطوراتِ الحياةِ، ووسائلِ الإعلام، ورجالِ السِّياسة، وغالبية ما يُسمَّى النُّخبة المُثَقَّفة.
فالمواطنُ العربيُّ يتعرَّض إلى قصفٍ إعلامي مُرَكَّزٍ «يجعلُ الحَلِيمَ حيرانًا»، ويتعرَّض إلى تصريحاتٍ وبياناتٍ وأخبارٍ متناقضةٍ ومتعارضةٍ،

قليلٌ منها حقيقيٌّ وكثيرٌ منها مُزَيَّفٌ، ويتعرَّضُ إلى قصفٍ فكريٍّ مؤدلجٍ من بعضِ رجالِ الدِّين تُحَوِّلُهُ إلى قشةٍ في مَهَبِّ الرِّيحِ.
يتعرَّضُ المواطنُ العربيِّ إلى سلسلةٍ من الهزَّات اليومية على مستوياتٍ مختلفة تُدخِلُهُ في سردَاب ومتاهةٍ لا يستطيع أن يخرجَ منها، ولذلك فإنَّ أوَّل خُطوة لإقالة المجتمع العربيِّ من عَثرَتِه هو إخراجُ المواطن العربيِّ من هذه المتاهة.
الإصلاحُ يبدأ برفع منسوبِ الوعيِّ بإصلاح المدرسة، والجامعة، والمسجد، ووسائلِ الإعلام، والمؤسَّسات السِّياسيَّة، لكي تكونَ في خدمة رفعِ مستوى الوعيِّ العربيِّ.
ولكن ورغم الصُّعوبةِ الكبيرةِ علينا أن نبدأَ بتغيير الإنسان العربي، ورفع مستوى وعيِّه بكُلِّ الوسائل الممكنة؛ لأنَّ اللَّه "لا يُغَيِّرُ الله مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يغيروا مَا بأنفسهم" [الرعد: ١١]، خاصَّةً عبرَ مواقعِ التَّواصُل الاجتماعيِّ، وغيرها من الوسائل المتاحة؛ لأنَّ هذا هو الحلُّ الوحيدُ للخروج من المأزق التَّاريخيِّ للعرب حاليًا(*).
لا بُدَّ من الاهتمام برفع الوَعي السِّياسيِّ، وحاجةِ الشُّعوب العربيَّة إليه، خُصُوصًا في هذا الزَّمن المُثير، والمتعددِ الأحداث، والتقلُّبات، والمواقف على مدار السَّاعة.
ونقصدُ بذلكَ تمليكَ الشُّعوبِ العربيَّة- خاصَّةً الشَّبابَ- أدواتَ الفهم العام للمناخ السِّياسيِّ، وما يحرِّكه من تجاذباتٍ ومخطَّطات من الفاعلين السِّياسيين، داخل المحيط العربيِّ أو حتَّى خارجه، نظرًا للترابط العالميِّ للأحداث على المستويات: المحليَّة، والإقليميَّة، والدَّوليَّة.
ولمَّا كانَ الأصلُ في الوَعي هو التفكيرَ والعقلَ؛ لبناءِ جُسُور التَّرابط، ونشرِ الأفكار الصَّالحة للمجتمعات والدُّول، كان الشبابُ هم العمودَ الفقريّ في أيِّ تَحَوُّلٍ أو تَقدُّم تنمويٍّ أو فكريٍّ أو حضاريٍّ؛ لذلك لا مناصَ من أهميَّةِ الوعيِّ السِّياسي، وكونِهِ ضرورةً ملحّةً عاجلة لهذه الشَّريحةِ السِّنِّيةِ الكبرى، وتلك المرحلةِ العمريةِ الفاصلةِ في حياة النَّاس، لكن هل الواقعُ العربيُّ مهيَّأٌ لذلك.
الواقعُ العربيُّ الآن:
يجبُ أن نعترفَ كعربٍ أنَّ الواقع السِّياسيَّ الآن يدفعُ لليأس والقُنُوط، فالعالَمُ العربيُّ يعيشُ حالةً من عدم الاستقرار والتَّوهان والتَّحدِّيات الكبيرة؛ لذلك فليس من السَّهلِ إنكارُ الواقعِ أو تجميلُهُ بدعوى بثِّ الأمل والتَّسامي فوقَ

الجراحات، وإن كان هذا مُهمًا، لكنَّه يقينًا يكذبه الواقعُ وتجاربُ الحياة، لدرجةِ الظَّن بأنَّ الحكمة والعقل قد رُفعت من هذه الأمَّة، أين علماءُ الأمَّة؟!، أين حكماءُ السِّياسة؟!، أين العقلاءُ؟!.. ما الَّذي أصابنا، حالةٌ من الفوران والتَّخاصُم العربي لم نشهد لها مثيلًا؛ إذ لا تكادُ تجدُ خمسةَ دولٍ عربيَّةٍ متفقةً فيما بينها، وتحالفاتٌ هنا وهناك، وسُوءُ ظَنٍّ بالأخ الشَّقيق، أمَا كان من الأجدرِ أن تكون هذه التَّحالفاتُ والتَّفاهماتُ بين الأخوة على عدُوِّهم، فقد استغلَّ أعداءُ الأمَّة هذا التَّوهان، وكانت القُدسُ هي كبشَ الفداء، دَعُونَا نلقي نظرةً على الواقِع الآني في الأرض المُحتلَّة، وخُطُوات إسرائيلَ لتهويدِ القُدسِ.

اتبعت إسرائيلُ الآلياتِ الإداريةَ والإجرائيةَ التَّاليةَ في عملية تهويدِ القُدسِ وضمِّها(*):

١- اختراعُ مفهوم القُدس غير القابلة للتَّفاوض بتحويلِ القَدَاسة إلى مفهوم سياسيٍّ.

٢- تَتَبُّعُ الرِّواية التَّاريخيَّة التَّوراتية في كلِّ حيٍّ وجبلٍ وكهفٍ في القُدس بحيثُ تُعادُ تسميته، ويُستهدف بالاستيطان، واعتبار سُكانِه ضيوفًا تمهيدًا للتَّضييق عليهم وطردِهم.

٣- توسيعُ حدودِ المدينة لكي تشملَ القَدَاسةَ الإسرائيليَّة المحتكرة، وغير القابلةِ للتَّفاوض أكبرَ مساحةٍ ممكنةٍ من الأرض.

٤- مُصَادرةُ الأرض من العربِ، وبناءُ المستوطنات.

في مقابل ذلك تجري تعبئةٌ إسلاميةٌ تتمحورُ حولَ الحرم القُدسي الشَّريف أُولى القِبلَتين وثالث الحرمينِ الشَّريفين، وحول المخططات الإسرائيليَّةِ العلنية والمخفية بشأنه.. ولا شكَّ أنَّ الشَّعبَ الواقعَ تحت الاحتلالِ احتاج القُدس أيضا كرمزٍ. وأصبح الحرمُ القُدسي الشَّريف مركزَ حياةٍ وهُويّة بالنِّسبة للمقدسيين بشكل خاصٍّ. فقد قُطِّعت أوصالُ مدينتهم، وتَجري محاولةُ فصلهم عن الضّفة الغربية، وحُوِّلوا إلى مجموعاتٍ فقيرة داخل مدينة يهودية، وحُرمُوا من المؤسَّسات الوطنية داخل المدينة، كما حُوصِرُوا اقتصاديًّا بقطعهم عن محيطهم الطبيعيِّ في الضَّفة الغربية. ولم يبقَ من مركزٍ يشدُّهم معًا سوى الحرمِ القُدسي الشَّريف، فالتفوا حولَهُ بُنيَانًا مرصوصًا، وجِدَارًا لا يَنهَدُّ.

عربيًا وإسلاميًّا برزَ قصورٌ على الأقل فيما مضى إلا النَّذر اليسير من بعضِ الإشراقات، ففي الوقت الَّذي يتمُّ فيه اختصارُ فلسطين إلى قُدس؛ بمعنى إهمال ما يجري في بقيَّة فلسطينَ، وإذا اختُزِلَتِ القُدس إلى الحرم الشَّريف بمعنى عدمِ الاكتراث لِمَا يجري في أحياءِ القُدس من معاناة في ظِلِّ سياسة التَّهويد الَّتي تجري على أرض الواقعِ، فإنَّ هذا يصبُّ في مصلحة إسرائيلَ الَّتي هوَّدت فلسطينَ والقُدس كلَّها ما عدا الحرمَ القُدسِيَّ الشَّريفَ، الذي تجري تحته الحفرياتُ تحكي حولهُ قصَّةَ مدينةٍ افتراضيةٍ تحته، وحوله للسياحةِ الدَّاخلية والخارجية.

إنَّ علاقةَ العرب بإسرائيلَ أو مشكلتنا معها تتعلَّقُ بأمرين محددين:

أولهما: قيامُ دولة فلسطين، وعاصمتُها القُدس الشَّرقية، أو إنهاءُ احتلالها للأراضي العربية المحددةِ في قرارات الأمم المتحدة.

وثانيهما: أحلامُها التَّوسعية عبرَ تمددها من النِّيل إلى الفرات، والواقعُ أنَّ المبادرةَ العربية التي صدرت في قمةِ بيروت عام ٢٠٠٢م، هي المِفتاحُ إلى سلامٍ تعاقدي يُنهِي العداءَ، ويُسهِمُ في دفع الأمور في المنطقة نحوَ الاستقرارِ.

وأعتقدُ في هذا المجالِ أنَّ علينا نحنُ العربَ أن نعلِنَ موقفًا واضحًا إزاء إسرائيلَ في تعويقِ قيام الدَّولة الفلسطينية، وأن نطرحَ مبادرةً إجرائية تتعلَّق بأجندة السَّلام المقترحة، على أساسِ احتمالين تبادليين، إمَّا هذا وإمَّا ذاك، وفي إطارٍ زمنيّ مُحَدَّد، مع مرجعيةٍ دولية ذاتِ مصداقية.

أقصدُ بذلكَ دولةً فلسطينيةً مستقلَّةً، أو دولةً واحدةً تجمعُ كلَّ الإسرائيليين والفلسطينيين، وعلى إسرائيلَ الاختيار.

لقد جعلَ الإسرائيليون والأميركيون من طرح خيارِ الدَّولة الفلسطينية سَرَابًا يَجرِي وَرَاءَهُ العربُ، بينما تستعمرُ إسرائيلُ أرض فلسطينَ، وتهوِّدُها وتقضمُها بانتظام وسرعة(*).

الوعيُّ هو العلاج:

يحتاجُ منسوبُ (الوعي السِّياسي) لدى الشُّعوب العربية والمسلمة إلى جهودٍ جبَّارة وطاقات فاعلة، حتى يعلو هذا المنسوبُ المتدني بحكم الزَّمن والممارسات غيرِ السَّوية تجاهَ شُعُوبِ الأمة خاصَّةً الشبابَ، ولا بُدَّ من التَّركيز على هذه الشريحةِ المهمَّة من جملة الشُّعوب العربية، والمشروع القمعي الَّذي يستهدفُ استئصالَ هذه الشريحة بوسائلَ متعددةٍ؛ كالاستلاب

الثقافيّ، وقتلِ رُوح المقاومة، فهي أدواتُ تنكيلٍ فكريّ أو وَعيٍ مضاد يُغذَّى على فساد وإفساد العقل، وتغذيةِ الخوف والتَّخاذُل والكسل، والركون إلى الواقِع والاستسلام له، وقد أثبتت فعاليتها مع الأيام فكيف الخلاص؟(*).

وممَّا لا شكَّ فيه أن دَورَ (الحركات والكيانات) في تعظيم دَورِ الوَعي السِّياسي عند الشُّعوب والشَّباب تحديدًا تجاهَ القضايا العربية، والقضايا عمومًا؛ محليًّا ودوليًّا وإقليميًّا، وجعله واقعًا ميدانيًا أمرٌ غاية في الأهميَّة، خاصَّةً أنَّ مستقبل تلك الكياناتِ والحركات سيؤولُ في نهاية المطاف إلى الشَّباب، رغمًا عن الجميع فهو مَن سيقودُ الأمَّة يومًا ما، وبالتَّالي فإنَّه من غيرِ المقبول تجهيلُ هذه الفئة، أي: الشباب، أو التَّقليلُ من قدراتها وملكاتها ومواهبها، فالتَّاريخُ يؤكِّدُ أنَّهم عِمَادُ كُلِّ نهضةٍ، وأساسُ أيِّ تَقَدُّمٍ، إذا ما توافرت لهم فرصُ الوعي الحقيقية.

قضيَّةُ القُدس تجدُ تعاطفًا فطريًّا لدى الشَّبابِ المسلمِ ممَّا يُشَكِّل استعدادًا نفسيًّا للقيام بأيِّ دَورٍ يُسهِم في نُصرَة القُدس واستردادها، حتَّى لو استدعى الأمرُ الفِداءَ بالأرواح والدماء، وهُنا مربطُ الفرسِ والمنطلقُ السِّياسيُّ لبناء أمَّة واعيةٍ بأدوارها.

وعليهِ: فإنَّ على الشَّباب أن يسعَى لتشكيلِ وَعيهِ السِّياسيِّ بنفسه أو بمساعدة الآخرين، ومِن هُنا تأتي فرصةٌ للنُّخبِ السِّياسية العربية بالتقاط زِمامِ المبادرة، وقيادةِ هذا الشَّبابِ المتعطشِ للسِّيادة العربية وقيادتها؛ لتكونَ على مستوى واحدٍ مع كافَّةِ شعوب العالَمِ وأُمَمِهِ الَّتي تفوقنَا كثيرًا، وتوجيهه إلى أن ينشطَ بعقلهِ وقلبِهِ؛ ليُصبحَ صاحبَ هِمَّةٍ وثَّابَةٍ، ورأيٍ ثاقبٍ، ورُوحٍ طامحةٍ، يَنشُدُ من خلالها تطويرَ نفسه والرُّقيَ بها؛ باكتساب العِلم والمعرفةِ النَّافعةِ له ولأُمَّته، ودافعه في ذلك دائمًا هو أنَّ الشَّاب النَّافِعَ لدينه، البارَّ بأمَّتِه، هو ذلك السَّاعِي لتحديثِ طاقته، وتغذيةِ عقلِهِ بالعِلم والمعرفة، والانطلاقِ نحو معَالي الأمجاد.

ولما كان الوعيُ السِّياسيُّ مهمًا للجميع، فإنَّ أهميتَه تَنبُعُ من خطورةِ ودَورِ السِّياسة بشكلٍ عام في حياة النَّاس، فالسِّياسةُ أصبحت تُلامِسُ الحياةَ العامةَ لكُلِّ فردٍ تجدها، أي: السِّياسة في الطَّرقات، والأندية، والمقاهي، ودُور العبادة، وفي اجتماع العائلة العربية على وجبة طعامٍ، فهي موجودةٌ في كُلِّ زمان ومكانٍ، وهو أمرٌ لا يَتَأَتَّى إلا بالآتي:

أولًا: يجبُ على الرَّاغبين في صِنَاعةِ الوعي لأنفسِهم أو لغيرِهم أن يَعرِفُوا أنَّ تشكيلَ صناعةِ هذا (الوعي) لا يتمُّ في فترةٍ بسيطةٍ، فإنَّ صناعةَ الوَعي تَحتَاجُ جُهُودًا جبَّارَةً وقُدراتٍ قويةً، تُحَسِّنُ توظيفَ طاقاتِها في المسارِ الصَّحيحِ؛ لبناءِ العقلِ وتغييرِ الواقعِ.
ثانيًا: «الإعلامُ» كانَ وما زالَ صاحبَ رسالةٍ مهمَّةٍ في توجيهِ الشُّعوبِ، وهو يلعبُ الدَّورَ الأكبرَ في بناءِ الشَّخصيَّةِ العربيةِ وتكوينِ الرأي العامِّ وصناعتِهِ وتوجيهِه، وأحيانًا يكونُ من العللِ الَّتي تُصابُ بها المجتمعاتُ، ومقياسُ الأمر في الحالتين، هو ما يحملُهُ من موادَ ورسائلَ سَلبًا أو إيجابًا يريدُ توصيلَها للمجتمعاتِ؛ لذلك فالشَّابُّ الَّذِي يَسعى لبناءِ عقلِهِ عليه أن يستقِيَ مادةً إعلاميةً مهنيةً صادقةً، بلا تطرفٍ أو غلوٍّ أو إفراطٍ، وكلٌّ وَفقَ منظومةِ البناءِ العقليِّ الَّذي يَسعَى إليه الشَّابُ مع الأخذِ في الاعتبارِ إسهام الشَّباب في بناء آلة إعلاميةٍ عربية قوية ومؤثرة تخدِمُ القضايا العربية بعيدًا عن الانتماءات الضَّيّقة.
ثالثًا: إنَّ دَورَ منظَّماتِ المجتمع المدني في تشكيلِ الوَعي السِّياسي غاية في الخُطورة، خصوصًا أنَّها مِنبَرٌ للحِرَاكِ والعمل الميدانيّ والفكريّ، كُلٌّ حَسبَ تَوَجُّهاتهِ وأيديولوجيته الفكرية والسِّياسية، لكنَّها في المُجمَل بابٌ مهمٌّ في تطوير فهم الشَّاب، لكنَّ العَقَبَةَ أنَّها قد طالتها يدُ الدُّول فتلوَّثت، وأصبح جهدُهَا ضئيلًا، إن لم يكن معدومًا، وكثُرَت القيودُ عليها، وتعددت الموانعُ والعقبات.
رابعًا: معرفةُ أنَّ وزنَ الأمور بميزانِ العقل يُعَدُّ من أهمِّ مصادر (الوعي السِّياسي) وبنائِه عند شباب الأمَّة العربية، وأحبُّ أن أشيرَ هنا إلى أنَّ الحصولَ على عقل مُتَّزنٍ واعٍ ليس بالأمر السَّهل لذلك فالدَّعوات لتطويرِ العقول وترشيدها وتطهير مرجعياتها، هو أمرٌ مهمٌّ لاستمرارِ النُّصح والفهم والوعي الحقيقي، الذي يَبنِي ولا يهدِم، ويجمعُ ولا يُفَرِّق.
خامسًا: لا بُدَّ من إسقاط الحدود بين دولِ العالَمِ العربي، ولا أقصدُ هنا الحدودَ السِّياسية، وإنما أقصدُ الحواجزَ النَّفسية بين الحكومات والشُّعوب، وذوبانَ الكُلِّ في الهُوية العربية مسلمةً أو غيرَ مسلمة، بكافَّة أيدولوجياتها كمرحلة مهمةٍ؛ لتشكيلِ وعيٍ عربيٍّ قوميّ تجاهَ قضايا الأُمَّة المصيرية، وجَعل أيِّ مُهدِّدٍ لأيِّ جزء من أطراف الأمَّة هو مُهَدِّدًا للكُلِّ، وليس هذا الأمرُ بعسير، فعلى القادةِ العربِ ونخبهم المبادرة، (فالشعوبُ على دين مُلُوكِهِم

وسَاستِهِم)، ولقد لمسنا ذلك من خلالِ الأزمات العربية الَّتي حدثت منذُ وقتٍ قريبٍ، حيثُ تتبدلُ آراءُ الشُّعوب العربية ولغتهم تجاهَ إخوتهم وفقًا لتُرمومتر الأحداث صعودًا وهبوطًا، فتتحوَّل لغتُهم مَدحًا وذمًا، حَربًا وسِلمًا حَسبَ توجُّهات حكوماتهم وزعمائهم.

ذكر بعض المهتمين بالشَّأن العربي:

إنَّ مِن المناسب في عملية رفع الوعي السِّياسي بالقضية الفلسطينية أن نُوصِيَ بالتَّركيز على الثَّوابتِ الأساسيَّة الَّتي لا يجوزُ الحيادُ عنها:

١- التَّذكير باغتصابِ فلسطينَ، وأنّها حقٌّ للفلسطينيين، والتَّأكيد على أنَّ هذه القضيَّة ليست خاصَّةً بالفلسطينيين، بل قضيَّةٌ ينبغي على كلِّ المسلمين والعرب التَّحرُّك للعمل على استرجاع الأرض والمُقدَّسَات، ولا يجوز لأيِّ شخص أو دولة أو جهةٍ -مهما علا شأنُها- التَّفريطُ بهذا الحقِّ الَّذي هو مِلكُ للمسلمينَ والعربِ كافَّةً.

٢- أهميَّةُ مراجعةِ المسارِ الدُّبلوماسيِّ السَّاعي للوصولِ إلى حلٍّ دبلوماسيٍّ مع الكيانِ الصُّهيونيِّ، فإنَّ هذه المساعي- وعلى طولِ مُدتِها- لم تفلح في إثناء دولةِ الكيانِ الصُّهيونيِّ عن التعاملِ باحترامٍ مع العربِ، بل لم تزد الشَّعبَ الفلسطينيّ سوى المزيدِ من التشرُّدِ والضَّياعِ والابتعادِ عن قضيَّتِه، وزادت إسرائيلَ تمكينًا، فلا جدوى فعليَّة لهذا المَسعَى، لا سِيَّمَا وأنَّنا نرى هذا الكيانَ الصُّهيونيَّ يرفضُ الاستجابةَ للعديدِ من القراراتِ الدَّوليةِ، ويضربُ بها عُرضَ الحائطِ، وكذلك الاتفاقياتُ الإقليميةُ الدَّاعيةُ إلى السَّلامِ في الشَّرقِ الأوسطِ.

٣- التَّأكيدُ على خيارِ المقاومةِ؛ وهُو المبدأُ الأهمُّ الَّذي ينبغي التَّركيزُ عليه دومًا، ودَعمُهُ بكلِّ الوسائلِ حتَّى يستطيعَ الفلسطينيون الصُّمودَ إلى أن يستردَّ الشَّعبُ الفلسطينيُّ حقَّهُ المُغتصبَ، وعدمُ وَصمِ أعمالِ المقاومةِ بأيَّةِ صفاتٍ سلبيةٍ كالوصمِ بالإرهابِ أو العنفِ أو العُدوانِ، والتَّأكيدُ على أنَّ حقَّ المقاومةِ حقٌ مكفولٌ لكُلِّ عربيٍّ ومسلمٍ في الدِّفاعِ عن أيِّ جُزءٍ في العالَمِ العربيِّ من الخليجِ إلى المحيطِ، وحقٌّ مكفولٌ للفلسطينيين حتَّى تتحرَّرَ القُدسُ.

وأُضيفُ إلى ما سَبَق ذِكرُهُ الآتي:

٤- إعلاءُ قيمةِ القُدسِ كرمزٍ إسلاميٍّ عربيٍّ، وعدمُ التَّخلِي عنه مهما كان الثَّمنُ.

٥- إنشاءُ مؤسَّساتٍ تُعنَى بقضيَّةِ القُدسِ وأبعادِها السِّياسيَّةِ والدِّينيَّةِ، وإحياءِ المؤسَّساتِ السَّابقةِ الَّتي تُعنى بالشَّأنِ المَقدِسِيِّ والفلسطينيِّ، وتسميةِ الشوارعِ الكبيرةِ والمؤسَّساتِ الحيويَّةِ ودُورِ العلمِ والعِبادة بأسماءِ القُدسِ المختلفَةِ، أو بأسماءِ أبطالِ المقاومةِ والشُّهداءِ.
٦- إكمالُ المُصَالحةِ بتوحيدِ الصَّفِّ الفلسطينيِّ تَحتَ قيادةٍ مُوحَّدَةٍ، ومواصلةِ العملِ من أجلِ تحريرِ فلسطينَ.
٧- قطعُ الطَّريقِ على أيَّةِ تدخلاتٍ إقليميةٍ أو دوليةٍ، تُسهِمُ في زعزعةِ الأمنِ في المنطقةِ، أو تزايدُ في القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ.
٨- وأهمُ من ذلك كلِّه قُوَّةُ الإرادةِ العربيَّةِ، وعدمُ اليأسِ أو الاستسلامِ، وبذلُ الجُهدِ المتَّصلِ مهما كانَ حجمُه (ما ضاعَ حَقٌّ وراءَهُ مطالبٌ).
وَبِرَأيِنَا.. يجبُ أن يكونَ التَّوَجُّهُ الدِّينيُّ الَّذي يلتقِي مع التَّوجُّهِ الوطنيِّ والقوميِّ في مقاومةِ الاحتلالِ معاكسًا تمامًا، فكُلُّ القُدسِ هي حرمٌ شريفٌ، وكُلُّ فلسطينَ هي قُدسٌ، والواجبُ الوطنيُّ والقوميُّ والدِّينيُ يقضي صَدَّ كُلِّ عُدوانٍ على فلسطينَ.
نأمُلُ أن يكونَ مؤتمرُنَا هذا نُقطةَ انطلاقٍ حقيقةً تجاهَ القضايا العربيةِ جميعها، فكُلُّ ما يجري في السَّاحتين العربيةِ والإسلاميةِ له تأثيرٌ على القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ بشكلٍ أو بآخرَ، ولا شكَّ أن توحُّدَ كلمةِ العربِ واجتماعِهم يدًا واحدةً كفيلٌ بتقويَّةِ موقفِهم تُجاه القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ، وبالتَّالي سينعكسُ إيجابًا على تعاملِ إسرائيلَ مع فلسطينَ، والحدِّ من أطماعِها في المنطقةِ، والرُّضوخِ إلى صوتِ السَّلامِ.
ونحنُ نستبشرُ خيرًا أن يكونَ المنطلقُ من الأَزهَرِ الشَّريفِ، والَّذي نرجُو منه دَورًا كبيرًا وفاعلًا كما عوَّدَنَا، وذلك من خلالِ علاقاتِهِ القويَّةِ والرَّاسِخَةِ مع كافَّةِ المؤسَّساتِ الدِّينيَّةِ في العالَمِ الإسلاميِّ وبقيَّةِ العالَمِ.
وإلى اللَّهِ القَصدُ، وهُوَ يَهدِي السَّبيلَ.